العرب
الثلاثاء 2021/05/04
السنة 43 العدد 12050

يكفي أن يبكي الممثل أو يصرخ لينطلق التمجيد

جمهور الفيسبوك يتحكم في توجيه الأعمال الدرامية نحو اليمين أو اليسار

الجمهور له تأثير كبير على الأعمال الدرامية، مقارنة بغيرها من الفنون، وربما لأنها تتوجه أساسا إلى كل الفئات على اختلافها، لذا يتنوع جمهورها الواسع وتتعدد أطيافه، وهذا ما يخلق انطباعات ذوقية مختلفة، وفي غياب النقد المختص تصبح هذه الانطباعات الحاكم الموجه الأساسي للدراما، وهو ما له وجه سلبي.

محمد ناصر المولهي
كاتب تونسي

«حرقة» دراما نجحت في خلق رسالة ثقافية

مع انطلاق بث الأعمال الدرامية التونسية في شهر رمضان، ومنذ الحلقات الأولى تشتعل وسائل التواصل الاجتماعي بتقييمات متعددة لهذه الأعمال، فتعلي من شأن عمل وتحط من شأن آخر، وانطباعات المشاهدين هي الحكم في ذلك.

بات تقييم الأعمال الدرامية مثل تقييم الشعر، لا معيار له، غير ما تفرضه الذائقة الفردية، التي تحكمها ميولات متقلبة عادة، بعيدا عن المقاربة الموضوعية، وهو ما أثر سلبا وإيجابا في دراما هذا العام.

تأثير الجمهور

باتت وسائل التواصل الاجتماعي سلطة على الإبداع، فرغم أنها حررته من وسائل التداول التقليدية وفتحت أمامه المجال واسعا ضد الرؤى المتكلسة وأجهزة الرقابة وكل نوع من أنواع القيود التي يتمسك بها أناس بيروقراطيون، فإنها فرضت عليه أيضا نوعا من المسارات التي يمكننا أن نسميها بالشعبوية.

> هناك أعمال تنال إعجاب رواد وسائل التواصل لكنها لا تنجُو من الانطباعات التي تغالي في المدح أو الذم

النقد في هذه الوسائل سهل وانفعالي إلى أبعد حد ممكن، يكفي أن يصرخ أو يبكي ممثل ما في حلقة ما في مسلسل ما، حتى يندفع المغردون والمدونون وأهل المواقع الافتراضية في تمجيد خصال الممثل، في ما قد يصل إلى مبالغات مضحكة.

المزاج هو السيد والحاكم في شعب مواقع التواصل، بنقرات بسيطة يمكن وصم عمل درامي بطم طميمه، بأنه "تافه" أو "سطحي" أو حتى بمنطق "كارثة"، وغيره من النعوت التي لا ترتقي إلى مستوى نظرة متوازنة، أو حتى انطباع.

بالعودة إلى الشعر وتقييمه، فغالبا ما يطالب الناس الشاعر بما ليس في قصيدته، دائما هناك تلك الحلقة المفقودة، أو الشيء الغامض الذي يطالب به الناس الشاعر، دون أن يعرفوا ما هو، أو حتى يحدسوا به. وهذا تقريبا بات يصبغ كل الأعمال الإبداعية، ولا تشذ الدراما عن ذلك.

نعم كل الأعمال تحتاج إلى النقد المختص، ولكنها تحتاج أيضا إلى النقد الانطباعي. فلا توجد معايير نهائية محرّمة الانتهاك لتقييم عمل درامي، كالحبكة والحوار والسيناريو والتقمص والمونتاج والصوت والإضاءة وغيرها، ولكن من ناحية أخرى هناك ما يمكن أن نسميه بالإيقاع الذي تمتاز به جل الأعمال الإبداعية، وهو وإن كان تقنية، ففيه جانب شعوري تخلقه السلاسة. انطباعات كثيرة واجهت الأعمال الدرامية في السنوات الأخيرة، وفيها الكثير مما لا يرقى إلى مشارف النقد، وساهم في تكريس رغبات الجمهور وميولاته عبر أعمال متذبذبة، وهو ما نراه خاصة في الأعمال الكوميدية، التي تعيد لوك نكات الفيسبوك وتعيد إنتاج خطاب مهتز لا يرقى إلى عمل فني.

من ناحية أخرى ساهمت انطباعات أخرى في تعديل توجه الكثير من الأعمال الدرامية، من ذلك تقلص مستوى العنف، وعدم الإغراق في عوالم الديستوبيا، والصراعات الكلاسيكية بين الفقر والمال، والجريمة والشرف، وغيرها من الثنائيات المكرسة والتي أغرقت الساحة الدرامية بأعمال تشبه الضجيج.

نعم كما ساهمت مواقع التواصل في الخلل الذي شاب الكثير من المسلسلات، فإنها ساهمت أيضا في تحسين مستوى هذه المسلسلات وحتى البرامج، بينما لا يكفي ذلك.

عملان دراميان

رغم كل النقد الذي يكال إلى الأعمال الدرامية من منطلقات أيديولوجية أو انطباعات فيها الغث والسمين وفيها المتعصب والمتوازن، فإنها شهدت في رمضان هذا العام تحسنا ملحوظا، خاصة في تجنبها لعوالم القاع والسقوط الحر في عالم الجريمة بلا أدوات لنقده أو تفكيكه وبلا غايات، حتى أنها اتهمت بالترويج للجريمة.

نجد من مسلسلات هذا العام مسلسل "حرقة" الذي تناول ظاهرة الهجرة غير الشرعية، وقد تميز عن بقية الأعمال بحبكته الدرامية التي كشفت بذكاء ظاهرة الهجرة السرية وما يعانيه المهاجرون في البر والبحر، من أرض العبور إلى مياه البحر التي تبتلع أغلبهم، إلى إيطاليا وما يعانونه في معسكرات المهاجرين، حيث يباع البشر ويهانون وهم محتجزون في أرض كانوا يظنّونها الجنة فيما هي الجحيم بذاته.

فكرة العمل مدروسة ومؤثرة، ولا أظن أن التونسيين سينظرون إلى الهجرة السرية بنفس الطريقة التي كانوا ينظرون إليها قبل هذا العمل، وهذه هي الوظيفة الحقيقية للعمل الفني، ما قبله ليس كما بعده.

ربما ساهم تأطير الشخصيات والوضعيات من خلال الكتابة المدروسة التي قام بها السيناريست التونسي عمادالدين الحكيم، في خلق إيقاع سلس مبني على مفارقات قوية، مثل علاقات الحب غير النمطية، واللعب بالشخصيات بين الشر والخير، والإقحام الذكي لقضايا أخرى مثل مسرح الدمى، والأفارقة والميز العنصري وغيرها، عوالم نجحت في خلق عمل مميز رغم بعض النقائص في مستوى الحبكات الثانوية التي ربما كانت ستقوي العمل أكثر لو وقع التركيز عليها علاوة على الاستعمال المفرط للدرون في لقطات فوقية أغلبها مجاني.

العمل نال إعجاب الكثير من رواد وسائل التواصل الاجتماعي، لكنه لم ينجُ بدوره من الانطباعات التي لا تعرف الوسطية، فتغالي في المدح أو الذم.

من المسلسلات التونسية الأخرى التي عرفت متابعة هامة مسلسل "الفوندو" وقصته تدور حول شخصية يحيى الذي يغادر السجن بعد أن قضى عشرين عاما بتهمة قتل صديقته، لكنه يصر على أنه بريء وتبدأ معه رحلة للبحث عن القاتل الحقيقي، رحلة فيها من الحب والعنف والتعقيدات ما يجعل القضية مثيرة.

رحلة البطل والقضية المحورية للعمل لم تدعمها الحبكات الثانوية، علاوة على تمطيط المشاهد وضعف الحوار، والموسيقى التصويرية الحزينة التي أثخنت أغلب مشاهد المسلسل تقريبا، فيما الكاميرا وكل الأحداث تدور حول البطل وترافقه في ما يخدم الحبكة وما لا يخدمها.

قد يتشابه العملان الدراميان في التركيز على قضية واحدة، وإغفال طرح زوايا تدعمها، لكن ما يختلفان فيه هو أن "حرقة" تمكن من خلق رسالة ثقافية يمكن البناء عليها، فيما سقط "الفوندو" في كليشيهات تروج لثقافة مهتزة بين العنف والذكورية التي كرسها بدل أن ينقدها.

نجح جمهور مواقع التواصل الاجتماعي في فرض رؤاه على منتجي الدراما التونسية، نجح سلبيا وإيجابيا. من حق الجميع أن يبدي رأيه، لكن أليس من المفروض أن تكون الكلمة الفصل للنقاد، والنقاد أنفسهم أليس من المفروض أن يطوروا ملكاتهم وأدواتهم.

في شتى المجالات من الأدب إلى المسرح والتشكيل والسينما والدراما، كل الفنون تحتاج إلى النقد المتخصص كما تحتاج أيضا إلى الانطباعات العامة والخاصة، ويبقى التوازن سمة أي مبدع يريد العبور إلى مراحل أعلى.

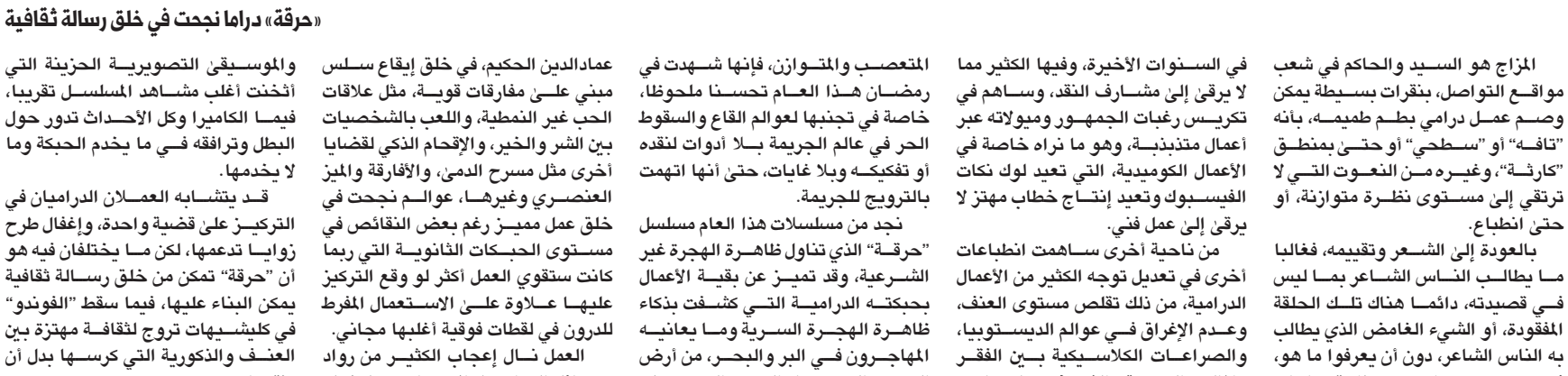

الشباب الموهوبون نجوم الدراما السورية لرمضان 2021

دمشق - تعرفنا في هذا الموسم الدرامي الرمضاني على عدد جيد من المواهب الشابة من الممثلين والممثلات في الأعمال الدرامية بأنواعها، واستطاع عدد منهم لفت انتباه المشاهدين لمواهبهم وحضورهم على اختلاف المساحات التي لعبوها في الشخصيات المقدمة.

هذا العدد الجيد من المواهب جاء من خريجي المعهد العالي للفنون المسرحية قسم التمثيل بعد عشر سنوات من الحرب، وهو ما يدعو وفق الكثير من النقاد والمتابعين إلى التفاؤل واستشراف مستقبل واعد للدراما السورية في المرحلة القادمة اعتمادا على طاقات شباب مفعمين بالموهبة والإصرار على تحقيق الذات في أصعب الظروف، ولاسيما أن صناعة الدراما السورية طالما اعتمدت على ضخ دماء جديدة كانت على الدوام أحد أوراقها الرابحة.

وتشهد الدراما السورية في هذا الموسم الدرامي وقبله بنسبة أقل في الأعوام الماضية وجودا كبيرا للشباب سواء كممثلين أو كتاب أو مخرجين حتى ظهرت أنواع من الأعمال يطلق عليها تسمية مسلسلات شبابية كونها كتبت وقام ببطولتها وتولى إخراجها شباب جدد على الساحة الفنية سواء من الأكاديميين أم من الهواة ذوي الخبرات البسيطة.

وتأتي تسمية الدراما الشبابية لتعطي لهذه الأعمال أحيانا إعفاء من التقييم والنقد على أساس أن هؤلاء لا يتمتعون بالخبرة الكافية وضرورة دعمهم تتطلب التغاضي عن المستوى الفني الذي يقدمونه فتتعدد الآراء حول ذلك، فمنها من يرجع هذا الوجود الواسع في الساحة الفنية للهواة من الشباب أو الخريجين الجدد للظرف الإنتاجي الصعب وأخرى تراه تطورا طبيعيا تحتاجه الدراما للتجدد، معتبرين أن الأفضل سيبقى مع الوقت لينزوي بعدها السيء جانبا، ولا ننكر هنا دور المعهد العالي للفنون المسرحية في تقديم أجيال جديدة مميزة للدراما السورية نجحت في الأداء والإقناع وفي الوصول إلى قلوب المشاهدين السوريين والعرب عموما.

ورغم آثار الحرب وهجرة عدد من نجوم الدراما وأساتذة المعهد العالي للفنون المسرحية إلى الخارج، استطاع

الشباب أثبتوا جدارتهم

هذا المعهد كصرح ثقافي أكاديمي أن يحافظ على سوية خريجيه اعتمادا على من بقي من أساتذته المخضرمين مع الاستفادة من الخريجين المميزين الذين انتقلوا خلال هذه السنوات الصعبة إلى منصة التعليم ليرفدوا العملية التدريسية بما لديهم ويساعدوا زملاءهم الأصغر سنا على اكتساب المهارات والمعارف اللازمة ضمن حالة يمكن نقلها والاستفادة منها في قطاعات أخرى.

ويسجل للكتاب والمخرجين وشركات الإنتاج الذين قدموا أعمالهم في هذا الموسم موقفهم الإيجابي من الشباب وإتاحة الفرص لهم ليثبتوا ذواتهم، ويقدموا ما لديهم من خلال شخصيات كتبت لأعمارهم بطيف متنوع من الكركترات الصعبة، والتي لا تقل في عمقها عن أدوار البطولة مع المغامرة في إسناد محاور درامية أساسية في بنية هذه الأعمال إلى هؤلاء الشباب رغم أن بعضهم يظهر على الشاشة للمرة الأولى.

المواهب الشابة لا تقتصر على الممثلين بل اكتشفنا في هذا الموسم الدرامي عدة أسماء من الكتاب الذين شاركوا في ورشات كتابة لعدة أعمال إضافة إلى عدد آخر أثبت موهبته وقدرته في مجالات الديكور والملابس والغرافيك والمونتاج والموسيقى التصويرية وغيرها من الاختصاصات.

تحضر الدراما الاجتماعية بقوة لدى المتلقي العربي والسوري خاصة بما تقدّمه من ملامح حياته اليومية التي تشغل باله وتعبّر عن مخاوفه وطموحاته. وكثيرا ما تفاعل الناس مع هذه الدراما، متجاوبين مع عمق الطروحات التي قدّمتها لهم، وربما كانت فئة الشباب هي الأوسع تمثيلا في المجتمعات العربية، وهذا ما يعكس اهتمام الأعمال الدرامية بها، والتركيز على قضاياها بشكل خاص، وقد تمكن المبدعون الشباب من ذلك ببراعة.

> المواهب الشابة لا تقتصر على الممثلين بل هناك كتاب وعاملون في الديكور والغرافيك والمونتاج والموسيقى التصويرية

وجود هذه الطاقات الشابة يجب الاستفادة منه وتفعيله والاستثمار فيه من خلال الاعتماد عليها في المرحلة القادمة بشكل أكبر وفرد مساحات أوسع ضمن الأعمال المنتجة وإنتاج أعمال درامية تطرح مواضيع الشباب وتعبر عن حيواتهم وطموحاتهم ومشكلاتهم ولاسيما أننا بحاجة لهؤلاء في مرحلة إعادة الإعمار ليكونوا عماد هذه المرحلة وما بعدها للنهوض بكل قطاعات الوطن.